قصص أعلام الإسلام

٨



دار الشروق

فايد العمروسي



دار الشروق

بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ ـ برقيا: داشروق ـ تلكس: SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٧٧٤٨١٤ ـ ٧٧٤٥٧٨ ـ برقيا: شروق ـ تلكس: 93091 SHROK UN

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هَذِهِ سِلْسِلَةٌ لأَعْلامِ المُسْلِمين بَدَأْتُها بِنَبِيِّ الإِسْلامِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله .

وقَدْ قَصَدْتُ مِنْ كِتابَةِ هَذِه السِّلْسِلَة التَّعْرِيفَ بكُلِّ عَلَمٍ ، تَعْرِيفاً مُبَسَّطاً في أُسْلوبٍ قَصَصِيٍّ سَهْلٍ ، يُتيحُ للنَّاشِئَةِ والْكِبار مَعاً أَنْ يَقِفُوا عَلَى حَياةِ كل منْهُمْ ، وعَلَى أَثَرِه في الإِسْلامِ ، ومَكَانته بَيْنَ المُسْلِمين .

كَما راعَيْتُ في كلِّ قِصَّةٍ صِحَّةَ الأَحْداثِ التَّاريخيَّة ومَا تَهْدِفُ إِلَيْه مِنْ حَمِيدِ الفَضَائلِ .

وبقَدْر مَا بَذَلْتُ مِنْ جُهْدٍ : أَسْأل الله التَّوْفيقَ .

فايد العمروسي

خَـالِدُ بْنُ الوَلِيـدِ

١

خَالِدٌ قَبْلَ الْإِسْلَام :

خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، شَخْصِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، وَقَائِدٌ بَطَلٌ ، سَجَّلَ فِي الحُرُوبِ انْتِصَارَاتٍ مَجِيدَةٍ ، بِمَا عُرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَام ، وَالذَّكَاءِ الحَرْبِيِّ ، وَحُسْنِ الحِيلَةِ وَالقُدْرَةِ عَلَى التَّنْظِيم ، وَالبَرَاعَةِ فِي التَّنْفِيذ ! !

وَهُوَ قَائِدٌ عَرَبِيٌّ فَذٌّ ، عَرَفَهُ الْعَالَمُ أَجْمَعُ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْب ، وَكَتَبَ عَنْهُ الْمُؤَرِّخُونَ العَرَبُ وَالْأَجَانِبُ ، وَاتَّفَقُوا جَمِيعاً عَلَى أَنَّهُ فَخْرٌ مِنْ مَفَاخِرِ الْأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ ، وَمَجْدٌ مِنْ أَمْجَادِهَا الخَالِدَة ! !

وُلِدَ في مَكَّةَ مِنْ قَبِيلَةٍ قُرَشِيَّةٍ شَرِيفَةٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ «الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَة» مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَزُعَمَائِهِمْ ، وَمِنْ أَعْظَمِهِمْ كَرَماً وَعَطَاءً !!

وَمُنْذُ أَنْ أَصْبَحَ خَالِدٌ صَبِياً في العَاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، بَدَأَ يَتَعَلَّمُ رُكُوبَ الخَيْلِ ، وَالضَّرْبَ بِالسُّيُوفِ ، وَالطَّعْنَ بِالرِّمَاح ، وَالرَّمْيَ بِالنِّبَالِ ، كَمَا بَدَأَ يَتَعَلَّمُ أَسَالِيبَ الْحُرُوبِ العَرَبِيَّةِ ، وَفُنُونَ الفُرُوسِيَّةِ !!

وَاشْتَرَكَ وَهُوَ شَابٌّ صَغِيرٌ في كَثِير مِنَ المَعَارِكِ الحَرْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَقَعُ بَيْنَ قَوْمِهِ وَبَيْنَ القَبَائِلِ الأُخْرَى المُعَادِيَةِ لَهُمْ ، فَأَظْهَرَ فِيهَا بَرَاعَةً نَادِرَةً ، وَتَفَرُّقاً مُمْتَازاً لَفَتَ أَنْظَارَ الرِّجَالِ ، وَانْتَزَعَ إِعْجَابَ المُحَارِبِينَ !! فَقَدَّرُوا كِفَايَتَهُ ، وَرَقَّبُوا مَكَانَتَهُ بَيْنَهُمْ ، وَوَضَعُوهُ مِنْهُمْ مَوْضِعَ الفَارِسِ الَّذِي لا يُجَارِيهِ أَحَدٌ مِنَ الفِرْسَانِ ، وَلا يَلْحَقُ بِهِ قَائِدٌ مِنَ القُوَّاد !!

* * *

وَظَهَرَ الإِسْلَامُ في بِلَادِ العَرَبِ ، وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ يُبَشِّرُ

بِالدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْكَرِيمَةِ ، وَبَدَأَتْ قُرَيْشٌ تُعَادِي النَّبِيَّ ، وَتُحَارِبُ دَعْوَتَهُ ، وَتَصْنَعُ العَرَاقِيلَ فِي سَبِيلِ انْتِشَارِهَا وَتَقَدُّمِهَا !!

وَكَانَتْ أُسْرَةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ مِنَ الْأُسَرِ الَّتِي عَادَتِ الْإِسْلَامَ ، وَحَارَبَتِ النَّبِيَّ فِي دَعْوَتِهِ ، وَكَانَ خَالِدٌ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الْإِسْلامِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحَرِّضُهُ عَلَى هَذِهِ العَدَاوَةِ ، وَتُشَجِّعُهُ عَلَى الانْتِقَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ يُسَفِّهُونَ الْجَاهِلِيَّةَ ، وَيَدْعُونَ إِلى تَحْقِيرِ الأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا !!

وَلَمَّا وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمُشْرِكِينَ ، انْتَصَرَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ انْتِصَاراً عَظِيماً ، وَقَتَلُوا مِنْ زُعَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ مَا يَزِيدُ عَنِ السَّبْعِينَ ، وَأَسَرُوا مِنْهُمْ كَثِيراً مِنَ الرِّجَالِ ، وَغَنِمُوا مَا لا يُحْصَى مِنَ الْأَمْوَالِ !!

وَتَعَجَّبَتْ قُرَيْشٌ مِنْ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ كَانُوا أَقَلَّ مِنْهُمْ عَدَداً وَسِلاحاً !!

وَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ :

لَعَلَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَقاً !! لِهَذَا نَصَرَهُ اللهُ عَلَيْنَا نَصْراً مُبِيناً !! وَبَدَأَ بَعْضُهُمْ يُفَكِّرُ تَفْكِيراً سَلِيماً وَيَقُولُ :

إِنَّ مُحَمَّداً لَعَلَى حَق !! وإِنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، جَاءَ بِالدِّينِ الإِسْلَامِيِّ لِيُطَهِّرَ الحَيَاةَ الْجَاهِلِيَّةَ مِنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَام ، وَيَنْشُرَ السَّلَامَ والأَمْنَ وَالعَدْلَ عَلَى رُبُوعِ البِلَادِ !!

* * *

وَكَانَ أَبُو خَالِدٍ « الولِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ » مِنَ الْمُعْجَبِينَ بِالدِّينِ الْجَدِيدِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم ، فَمَسَّتْ الهِدَايَةُ قَلْبَهُ ، وَرَاحَ يَقُولُ فِي مَجَالِسِ قُرَيْشٍ :

إِنَّ قُرْآنَ مُحَمَّدٍ لَكَلَامٌ عَجِيبٌ !! فِيهِ حَلَاوَةٌ وَعُذُوبَةٌ وَفِيهِ سِحْرٌ يَجْذِبُ النُّفُوسَ . وَمَعَانٍ تَهْدِي العَقْلَ وَالقَلْبَ إِلى نُورِ الْإِيمَان !!

وَسَمِعَ أَبُو جَهْلٍ ـ وَهُوَ منْ أَعْدَى أَعْدَاءِ النَّبِيِّ ـ مَا يَقُولُهُ « الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ » أَبُو خَالد ، فَعَاتَبَهُ عِتَاباً شَدِيداً

وَقَالَ لَهُ :

أَتَمْدَحَ الْقُرْآنَ وَهُوَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّد لِيُحَقِّرَ آلِهَتَنَا ، وَيُحَطِّمَ الْأَصْنَامَ الَّتِي نَعْبُدُهَا .. وَمَاذَا يَفْعَلُ وَلَدُكَ خَالِدٌ حِينَ يَسْمَعُ مِنْكَ هَذَا الْكَلَامَ ؟

إِنَّ أَخْوَفَ مَا نَخَافُهُ أَنْ يُسْلِمَ وَلَدُكَ خَالِدٌ ، فَنُصْبِحَ بِلَا حِمَايَةٍ .. وَهُوَ الَّذِي نَعْتَمِدُ عَلَى فُرُوسِيَّتِهِ فِي مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ ! !

وَكَانَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدَ أَخْوَانٍ ، هُمَا « الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَهِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ » وَلَقَدْ تَأَثَّرَا حِينَ سَمِعَا آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، كَمَا تَأَثَّرَا بِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، فَمَالَ قَلْبُهُمَا إِلَى الإِسْلَامِ ، وَغَادَرَا مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، حَيْثُ أَسْلَمَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ !

٢

خَالِدُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ :

بَعْدَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، اغْتَاظَ الْمُشْرِكُونَ ، وَرَاحُوا يُعِدُّونَ الْعُدَّةَ لِلاِنْتِقَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ! !

وَوَقَعَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ وَالْمُشْرِكِينَ ، وَانْتَصَرَ فِيها الْمُسْلِمُونَ أَوَّلَ المَعْرَكَةِ ، وَفَرَّتْ قُرَيْشٌ تَارِكَةً وَرَاءَهَا كَثِيراً مِنَ الغَنَائِمِ والأَمْوَالِ ! !

وَانْتَهَزَ بَعْضُ الْمُحَارِبينَ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الفُرْصَةَ ، فَتَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ في المَيْدَانِ ، وَأَسْرَعُوا نَحْوَ الغَنَائِمِ يَجْمَعُونَهَا ! !

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُ المَعْرَكَةَ بِنَفْسِهِ ، وَقَدْ أَمَرَ رُمَاةَ السِّهَامِ أَنْ يَقِفُوا خَلْفَ الجَيْشِ لِحِمَايَتِهِ ، وَلا يَتْرُكَ أَحَدٌ مَكَانَهُ أَبداً .. وَلَكِنَّ الْغَنَائِمَ جَذَبَتْ بَعْضَ هَؤُلاءِ الرُّمَاةِ ، فانْدَفَعُوا نَحْوَهَا يَجْمَعُونَهَا ! !

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يُحَارِبُ في جَيْشِ قُرَيْش ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ ! !

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ رُمَاةَ السِّهَام تَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ ، وَأَسْرَعُوا نَحْوَ الْغَنَائِمِ جَمَعَ بَعْضَ الفِرْسَانِ مِنْ جَيْشِهِ وَهَجَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ ، فَوَقَعَ الاِضْطِرَابُ في صُفُوفِهِمْ، وَصَارَ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِ

وَالْمُشْرِكِ ! !

وَبِهَذَا الْهُجُومِ الَّذِي قَامَ بِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، انْتَصَرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ ، وَلَوْلا خَالِدٌ مَا تَحَوَّلَ نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَزِيمَةٍ حَزِنَتْ لَهَا الْقُلُوب ! !

* * *

إِسْلَامُ خَالِدٍ :

وَيَقُولُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ :

بَعْدَ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ شَعَرْتُ أَنِّي مُذْنِبٌ فِي حَقِّ رَسُولِ اللهِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنِّي أَنَا الَّذِي أَحَلْتُ نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَزِيمَةٍ ! !

وَسَاءَلْتُ نَفْسِي :

لِمَاذَا أُحَارِبُ الْمُسْلِمِينَ ؟ وَبِأَيِّ عَقِيدَةٍ أُحَارِبُ رَسُولَ اللهِ؟

وَمَا هُوَ الْهَدَفُ الَّذِي أُحَارِبُ مِنْ أَجْلِهِ ؟

أَأُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ الْأَصْنَام ، وَهِيَ حِجَارَةٌ صَمَّاءُ ؟

وَلِمَاذَا أَسْلَمَ أَخَوَايَ « الْوَلِيدُ وَهِشَامٌ » ؟ لَا بُدَّ أَنَّهُمَا وَجَدَا

فِي الْإِسْلَامِ هِدَايَةً لِلْقَلْبِ ، وَسَعَادَةً لِلْنفسِ ، وَخُرُوجاً مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ ؟!

وَيَقُولُ خَالِدٌ :

وَعِشْتُ فِي قَلَقٍ دَائِمٍ ، وَحُزْنٍ مُقِيمٍ ، وَابْتَعَدْتُ عَنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ أَعُدْ أُفَكِّرُ مَعَهُمْ فِيما يُبَيِّتُونَهُ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَأَصْبَحْتُ أَعِيشُ فِي عُزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ ! !

* * *

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي تِلْكَ الْحَيْرَةِ ، تَلَقَّيْتُ مِنْ أَخِيَ الوَلِيدِ رِسَالَةً يَقُولُ فِيهَا :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ :

أَمَّا بَعْدُ فإِنِّي أَعْجَبُ مِنْ ضَلَالِ رَأْيِكَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَنْتَ فَتًى عَاقِلٌ رَزِينٌ ! !

وَهَلْ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ شَابٌّ مِثْلُكَ فِي حُسْنِ تَفْكِيرِكَ وَرَجَاحَةِ عَقْلِكَ ؟!

لَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ عَنْكَ فَقَالَ لِي :

أَيْنَ خَالِدٌ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : يَأْتِي بِهِ اللهُ مُسْلِماً ! !

فَقَالَ لي الرَّسُولُ ﷺ :

مَا مِثْلُ خَالِدٍ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ ، وَلَوْ جَعَلَ جِهَادَهُ وَكِفَايَتَهُ مَعَنَا فِي حَرْبِ الْمُشْرِكِينَ ، لَكَانَ خَيْراً وَأَبْقَى ! !

إِنَّ خَالِداً سَدِيدُ الرَّأْيِ ، صَائِبُ الفِكْرِ ، وَهُوَ بِالإِسْلَامِ أَوْلى ..

فَأَسْرِعْ يَا أَخِي وَتَعَالَ إلى رَسُولِ اللهِ ، فَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاقِفُ كُنْتَ أَنْتَ لَهَا وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ !

* * *

وَيَقُولُ خَالِدٌ :

لَمَّا تَلَقَّيْتُ رِسَالَةَ أَخِي شَعَرْتُ بِالْفَرَحِ وَالفَخْرِ ، وَأَحْسَسْتُ أَنَّ قَلْبِي يَمْتَلِئُ ثِقَةً وَإِيمَاناً بِالْإِسْلَامِ ، وَكَيْفَ لَا أَفْخَرُ .. وَقَدْ وَصَفَنِي رَسُولُ اللهِ بِرَجَاحَةِ العَقْلِ ؟

وَفي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ ، وَقَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ الشَّمْسُ كُنْتُ أَمْتَطِي نَاقَتِي مُتَوجِّهاً إلى المَدِينَةِ لِمُقَابَلَةِ رَسُولِ الله

وَالْإِسْلَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ! !

وَفِي طَرِيقِي قَابَلَنِي « عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ » و « عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ » وَهُمَا مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ ، وَعَرَفْتُ مِنْهُمَا أَنَّهُمَا مُتَوَجِّهَان إلى الْمَدِينَةِ لِيُسْلِمَا أَمَامَ النَّبي الْكَرِيمِ ! !

وَسِرْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةَ حَتَّى وَصَلْنَا الْمَدِينَةَ ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ بَعْضُ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ، فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ! !

وَابْتَسَمَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام ، وَمَسَحَ بِيَدِهِ الكَرِيمَةِ عَلَى رَأْسِي فَبَكَيْتُ تَأَثُّراً ، ثُمَّ أَسْلَمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَهَلَّلَ الصَّحَابَةُ وَكَبَّرُوا ، وَقَابَلُوا إِسْلَامِهِ بِالبِشْرِ وَالتِّرْحَاب ! !

٣

خَالِدُ سَيْفُ اللهِ ! !

كَانَ النَّبيُّ ﷺ قَدْ أَرْسَلَ إلى مَلِكِ بُصْرَى فِي بِلَادِ الشَّام رَسُولاً يَدْعُوهُ إلى الْإِسْلَام ، فَقَتَلَ الْمَلِكُ رَسُولَ النَّبِيِّ ، وَسَبَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ ! !

وَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ أَنْ يُؤَدِّبَ مَلِكَ بُصْرَى ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشاً كَبِيراً ، وَجَعَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَمِيراً عَلَى الجَيْشِ ! !

وَقَدْ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الجُنُودِ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَالَ لَهُمْ :

زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ هُوَ أَمِيرُكُمْ .. وَهُوَ الَّذِي يَأْخُذُ رَايَةَ الْحَرْبُ وَيَتَقَدَّمُ الجَيْشَ ، فإِنْ قُتِلَ .. فَلْيَأْخُذِ الرَّايَةَ « جَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ » فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَأْخُذْهَا « عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ » .. فإن قُتِلَ فَاتَّفِقُوا فِيما بَيْنَكُمْ عَلَى أَمِيرٍ تَخْتَارُونَهُ ! !

وَكَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ جُنْدِيا عَادِياً فِي هَذَا الجَيْشِ ! !

* * *

وَبَدَأَ القِتَالُ بَيْنَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الأَعْدَاءِ فِي قَرْيَةٍ تُسَمَّى « مُؤْتَةَ » وَهِي مِنْ قُرَى الشَّام الخَاضِعَةِ لِحُكْمِ الرُّومانِ فِي ذَلِكَ الْحِين ! !

وَكَانَ جَيْشُ الْأَعْدَاءِ قَوِيا ، فَقُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ !

فَأَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَصَارَ يُقَاتِلُ

حَتَّى قُتِلَ !!

فَأَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ « عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ » وَصَارَ يُقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ !!

وَبَعْدَ مَقْتَلِ القُوَّادِ الثَّلاثَةِ ، أَصْبَحَ جَيْشُ المُسْلِمِينَ فِي خَطَرٍ !!

فَصَاحَ أَحَدُ المُحَارِبِينَ ، وَهُوَ « ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ الأَنْصَارِيُّ » : أَيُّهَا المُسْلِمُونَ :

إِنَّ الجَيْشَ فِي خَطَرٍ .. فَهَلْ تَقْبَلُونَ أَنْ يَتَوَلَّى القِيَادَةَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ؟؟

وَصَاحَ المُسْلِمُونَ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ :

أَجَلْ .. أَجَلْ .. فَهُوَ نِعْمَ القَائِدُ المُجَرِّبُ الحَصِيفُ !!

وَتَسَلَّمَ خَالِدٌ رَايَةَ الحَرْبِ .. وَكَرَّ عَلَى الأَعْدَاءِ فَتَقَهْقَرُوا ..

وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ نَظَرَ خَالِدٌ ، فَرَأَى عَدَداً كَبِيراً مِنَ الجُنُودِ وَالسِّلاحُ يَتَدَفَّقُ عَلَى جَيْشِ العَدُوِّ ، وَأَدْرَكَ بِذَكَائِهِ ، أَنَّ جَيْشَ المُسْلِمِينَ بَدَأَ يَضْعُفُ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، فَعَزَمَ

عَلَى الانْسِحَابِ وَالمُحَافَظَةِ عَلَى مَابَقِيَ مِنْ جَيْشِ المُسْلِمِينَ ! !

وَلمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْتَرِقَ صَفُوفَ العَدُوِّ ، وَيَنْسَحِبَ بِجَيْشِهِ نَحْوَ المَدِينَةِ ! !

* * *

وَلمَّا وَصَلَتْ أَنْبَاءُ هَذِهِ الْحَرْبِ إلى المَدِينَةِ ، تَفَزَّعَ الصَّحَابَةُ ، وَأَصَابَهُمْ القَلَقُ وَالفَزَعُ خَوْفاً مِنْ فَنَاءِ الجَيْش كُلِّهِ ، بَعْدَ أَنْ قُتِلَ قُوَّادُهُ الثَّلاثَةُ ! !

وَتَوَجَّهَ كِبَارُ المُسْلِمِينَ إلى رَسُولِ اللهِ فَوَجَدُوهُ يُصَلِّي في المَسْجِدِ مَعَ الصَّحَابَةِ .. وَبَعْدَ الصَّلاةِ .. رَاحَ رَسُولُ اللهِ يُحَدِّثُهُمْ عَمَّا حَصَلَ في المَعْرَكَةِ ، وَهُوَ حَزِينٌ مُكْتَئِبٌ ! ! لَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَلِيئاً بالأَسَى وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ : أَيُّهَا المُسْلِمُونَ :

أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً .. ! !

ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالبٍ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً .. ! !

ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً .. ! !

وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَطِيرُ فِي سَمَاءِ الجَنَّةِ ، وَجَنَاحَاهُ مُخَضَّبَانِ بِالدِّمَاءِ ! !

وَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ لَحْظَةً .. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ .. وَهَتَفَ :

اللَّهُمَّ انْصُرْهُ .. فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ ! !

وَاسْتَجَابَ اللهُ لِدُعَاءِ رَسُولِهِ ، فَأَنْقَذَ خَالِدٌ مَا تَبَقَّى مِنَ الجَيْشِ ، وَوَصَلَ المَدِينَةَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللهِ وَأَصْحَابُهُ وَالمُسْلِمُونَ بِالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ أَصْبَحَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يُلَقَّبُ بِسَيْفِ اللهِ .

٤

مَكَانَةُ خَالد عِنْدَ الرَّسُولِ :

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَثِقُ فِي كِفَايَةِ خَالِدٍ وَشَجَاعَتِهِ ، لِهَذَا اصْطَحَبَهُ مَعَهُ فِي فَتْحِ مَكَّةَ وَجَعَلَهُ قَائِداً لِجُزْءٍ كَبِيرٍ

مِنَ الجَيْشِ !!

وَقَدْ نَصَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ بِدُونِ حَرْبٍ !!

ثُمَّ أَرْسَلَ خَالِداً لِهَدْمِ « العُزَّى » وَهي أَكْبَرُ أَصْنَامِ قُرَيْشٍ ، فَهَدَمَهَا وَسَوَّى بِهَا الأَرْضَ ، وَوَطِئَهَا بِقَدَمَيْهِ وَهُوَ يَهْتِفُ :

اللهُ أَكْبَرُ .. فُتِحَتْ مَكَّةَ .. وَهُدِمَتِ الأَصْنَامُ !!

ثُمَّ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ مَعَ نَفَرٍ مِنَ الجُنُودِ إلى قَبِيلَةِ بَنِي (جَذِيمَةَ) وَهي مِنْ أَقْوى القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ القَبِيلَةَ إلى الإِسْلَام !!

وَلَكِنَّ (خَالِداً) قَتَلَ مِنْ رِجَالِ القَبِيلَةِ عَدَداً كَبِيراً ..

وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللهِ بِمَا فَعَلَ خَالِدٌ ، غَضِبَ وَتَأَلَّمَ وَقَالَ :

اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا فَعَلَ خَالِدٌ !!

وَسَأَلَهُ رَسُولُ اللهِ : يَا خَالِدُ :

إِنَّمَا بَعَثْتُ بِكَ إلى بَنِي جَذِيمَةَ لِتَدْعُوَهُمْ إلى الإِسْلَامِ

دُونَ قِتَالٍ .. فَلِمَ تُقَاتِلُهُمْ ؟؟

وَاعْتَذَرَ خَالِدٌ لِرَسُولِ اللهِ وَقَالَ :

يَا رَسُولَ اللهِ : إِنَّ بَعْضَ رِجَالِ القَبِيلَةِ تَحَرَّشُوا بِي .. وَرَفَعُوا سُيُوفَهُمْ فِي وَجْهِي .. فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ القِتَالَ ! !

فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ بِعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلى قَبِيلَةِ بَنِي جَذِيمَةَ وَمَعَهُ بَعْضُ الْأَمْوَالِ ، فَطَيَّبَ خَاطِرَهُمْ ، وَدَفَعَ عَنْ كُلِّ قَتِيلٍ دِيَتَهُ (تَعْوِيضاً) فَرَضِيَتِ القَبِيلَةُ بِهَذَا الْحُكْمِ وَدَخَلُوا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ ! !

* * *

وَحِينَ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلى حَرْبِ قَبَائِلِ (هَوَازِنَ) بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، جَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قَائِداً لِلْجَيْشِ .. وَكَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَنْهَزِمُوا فِي هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ وَهِي مَوْقِعَةُ (حُنَيْنٍ) .

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ثَبَتَ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَدَعَا لِخَالِدٍ وَجُنُودِهِ بِالنَّصْرِ ، فَكَرَّ خَالِدٌ عَلَى الأَعْدَاءِ ، وَأَثْبَتَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ بُطُولَةً نَادِرَةً ، فَانْهَزَمَ جَيْشُ الأَعْدَاءِ ، وَجُرِحَ خَالِدٌ فِي

هَذِهِ المَعْرَكَةِ ، وَزَارَهُ النَّبيُّ في مُعَسْكَرِهِ ، وَمَسَّ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ جُرُوحِهِ فَمَنَحَهُ اللهُ الشِّفَاءَ ! !

ثُمَّ أَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ لِمُحَارَبَةِ قَبِيلَةِ (ثَقِيفٍ) فَانْتَصَرَ عَلَيْهَا وَأَخْضَعَهَا .. وَهَدَمَ (اللَّاتَ) وَهِي صَنَمٌ كَبِيرٌ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ ، وَيُهْدُونَ إِلَيْهِ الْهَدَايا ، وَيُقِيمُونَ لَهُ الْحَفَلَاتِ وَالْأَعْيَادَ ! !

وَكَانَ النَّصْرُ يُحَالِفُهُ دَائِماً في كُلِّ غَزْوَةٍ أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا النَّبيِّ ، وَقَدْ بَلَغَتِ المَعَارِكُ الَّتِي خَاضَهَا خَالدُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَعْرَكَةً ، انْتَصَرَ فِيهَا جَمِيعِها ، فَذَاعَ صِيتُهُ في بِلَادِ العَرَبِ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ المَمَالِكِ ، وَأَصْبَحَ اسْمُ خَالِد بْنِ الْوَلِيدِ عَلَماً لِلْبُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَام ، كَمَا أَصْبَحَ رَمْزاً مُخِيفاً لِلْقَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ وَالمَمَالِكِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ دَائِماً عَلَى الكَيْدِ لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ ! !

٥

لَمَّا تُوفِّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ، تَوَلَّى الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضي اللهُ عَنْهُ .. وَظَنَّتْ كَثِيرٌ مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ

أَنَّ مَوْتَ الرَّسُولِ عَلَيْـهِ السَّلامُ سَيُؤَثِّرُ فِي قُـوَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، وَبَدَأَ بَعْضُ الْقَبَائِلِ يَرْتَدُّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيُعْلِنُ عِصْيَانَهُ ، وَبَعْضُهَا يَمْتَنِعُ عَنْ دَفْعِ الْجِزْيَةِ (الضَّرِيبَةِ) الَّتِي كَانَ يَدْفَعُهَا لِلْمُسْلِمِينَ فِي حَيَاةِ الرَّسُول ! !

وَجَاءَتِ الْأَخْبَارُ إلى أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَدِينَةِ ، فَشَعَرَ بِخُطُورَةِ الْمَوْقِفِ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ فِي خَطَرٍ مُخِيفٍ .. ! !

وَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنْبَأَهُمْ بِأَنَّهُ يَعْتَزِمُ إِرْسَالَ الْجُيُوشِ إلى الْقَبَائِلِ الْمُرْتَدَّةِ لِيُحَارِبُوهُمْ ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ كَمَا كَانُوا فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ ! !

وَرَأَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ ، أَنَّ الْقَبَائِلَ الْمُرْتَدَّةَ عَنِ الْإِسْلَامِ قَوِيَّةُ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ ، وَأَنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ عَقْدَ صُلْحٍ بَيْنَهُمْ بَدلاً مِنَ الْحَرْب ! !

وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَفَضَ هَذَا الرَّأْيَ ، وَصَمَّمَ عَلَى مُحَارَبَةِ هَذِهِ الْقَبَائِل .. وَعَلَى قِيَادَةِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ ! !

وَنَفَّذَ أَبُو بَكْرٍ عَزْمَهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُعَارَضَةِ بَعْضِ

الصَّحَابَةِ .. فَقَادَ بِنَفْسِهِ جَيْشاً كَبِيراً حَارَبَ بِهِ قَبَائِلَ بَنِي عَبْسٍ ، وَبَنِي مُرَّةَ ، وَذُبْيَان ، وَهِي مِنْ أَكْبَرَ القَبَائِلِ الَّتِي ارْتَدَّتْ عَنِ الْإِسْلامِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ، وَقَدِ انْتَصَرَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى هَذِهِ القَبَائِلِ انْتِصَاراً عَظِيماً ! !

* * *

رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إلى الْمَدِينَةِ بِجَيْشِهِ مُنْتَصِراً .. ! !

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلَائِلُ حَتَّى عَلِمَ بِأَنَّ حَرَكَةَ الْمُرْتَدِّين قَدْ نَشِطَتْ وَاشْتَدَّتْ في بِلَادِ اليَمَامَةِ ، وَأَنْ قَبَائِلَ بَنِي حَنِيفَةَ قَدْ هَبَّتْ وَأَعَدَّتْ جُيُوشاً ضَخْمَةً لِمُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ ! !

وَهَبَّ أَبُو بَكْرٍ مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَعَدَّ جَيْشاً كَبِيراً ، وَخَرَجَ بِهِ لِمُحَارَبَةِ بَنِي حَنِيفَةَ بِاليَمَامَةِ ، وَكَانَ جَيْشُ بَنِي حَنِيفَةَ بِقِيَادَةِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب ! ! وَهُوَ رَجُلٌ ضِلِّيلٌ مُخَادِعٌ خَبِيثٌ .. لَقَدِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ .. وَاغْتَرَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ وَالْتَفُّوا حَوْلَهُ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُكَوِّنَ الْجُيُوشَ الضَّخْمَةَ الَّتِي تُهَدِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَام ! !

وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مِنَ المَدِينَةِ يَقُودَ جَيْشاً مِنَ المُسْلِمِينَ أَقَلَّ عَدَداً وَعُدَّةً مِنْ جَيْشِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب ! !

وَارْتَاعَ الصَّحَابَةُ وَكِبَارَ المُسْلِمِينَ ، وَحَاوَلُوا مَنْعَ أَبي بَكْرٍ مِنْ قِيَادَةِ الجَيْشِ ، وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَصَرَّ عَلَى قِيَادَةِ الجَيْشِ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالبٍ وَمَنَعَهُ مِنَ السَّيْرِ وَقَالَ لَهُ :

إلى أَيْنَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ؟

إِنِّي أَقُولُ لَكَ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ :

اغْمِدْ سَيْفَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَلَا تُخَاطِرْ بِحَيَاتِكَ ، فَنُفْجَعَ فِيكَ ! !

وَتَنَازَلَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ قِيَادَةِ الجَيْشِ ، إِرْضَاءً لِرَأْيِ الصَّحَابَةِ وَالمُسْلِمِينَ ! !

* * *

تَنَازَلَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ قِيَادَةِ الجَيْشِ وَنَظَرَ .. إلى مَنْ يَسْنِدُ القِيَادَةَ ؟

أَهُنَاكَ غَيْرُ الْبَطَلِ الشُّجَاع ، وَالْفَارِسِ المِغْوَار ، خَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ ؟

وَاسْتَدْعَى أَبُو بَكْرٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَقَالَ لَهُ :

إِنَّكَ أَمِيرُ الجَيْشِ وَحَامِلُ رَايَتِهِ ! !

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَنْكَ :

« نِعْمَ عَبْدُ اللهِ ، وَأَخُو العَشِيرةِ ، خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ .. ! سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ! ! »

تَوَلَّى خَالِدُ قِيادَةَ الجَيْشِ ، وَقَسَّمَهُ إلى أَلْوِيةٍ ، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ لِوَاءٍ قَائِداً .. ! !

وَبَدَأَتِ المَعَارِكُ بَيْنَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ وَجُيُوشِ مُسَيْلَمَة الكَذَّاب .. وَكَادَتْ جُيُوشُ مُسَيْلَمَة تَنْتَصِرُ عَلَى جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوَّلاً ، فَتَوَجَّهَ خَالِدُ بِنَفْسِهِ وَطَلَبَ الْمُبَارَزَةَ مَعَ مَسَيْلَمَةَ ، وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى خَرَّ مُسَيْلَمَةَ قَتِيلاً بِطَعْنَةٍ مِنْ سَيْفِ خَالِدٍ ! !

وَاشْتَدَّ حَمَاسُ الْمُسْلِمِينَ حِينَ صَعِدَ خَالِدُ بِفَرَسِهِ فَوْقَ

رَبْوَةٍ عَالِيةٍ وَصَاحَ في المُسْلِمِينَ :

إنِّي أَرَى بِعَيْني مَنْ يُحَارِبَ مِنْكُمْ وَمَنْ يَتَخَاذَلُ ! !

وَسَمِعَ المُسْلِمُونَ صَوْتَ خَالِدٍ وَتَهْدِيدَهُ ، فَصَعَّدُوا هُجُومَهُمْ بِعُنْفٍ وَحَمَاسٍ .. وَتَفَانَوْا في النِّزَالِ وَالكَرِّ وَالفَرِّ ، فَتَسَاقَطَ جُنُودُ مُسَيْلَمَةَ عَشَراتٍ عَشَراتٍ حَتَّى غَطَّتْ جُثَثُهُمْ أَرْضَ المَعْرَكَةِ ! !

وَظَلَّ خَالِدٌ يُهَاجِمُهُمْ وَيَحْصُدُهُمْ حَصْداً حَتَّى أَفْنَى جَيْشَ مُسَيْلَمَة .. وَنَجَا المُسْلِمُونَ وَالإِسْلَامُ مِنْ كَيْدِ مُسَيْلَمَةَ وَأَعْوَانِه .. وَقَدْ كَانُوا أَعْظَمَ خَطَرٍ عَلَى الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ .. ثُمَّ رَجَعَ خَالِدٌ إلى المَدِينَةِ مُنْتَصراً فاسْتُقْبِلَ بالْهُتَافَاتِ وَالتَّهْلِيلِ « هَذَا هُوَ سَيْفُ اللهِ المَسْلُولُ » ! !

٦

خَالِدٌ في حَرْبِ الفُرْسِ :

بَعْدَ أَنْ قَضَى خَالدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى المُرْتَدِّين عَنِ الإِسْلَامِ ، فَكَّرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُؤَمِنَ الْبِلادَ العَرَبِيَّةَ مِنْ شَرِّ

الْمَمَالِكِ الْمُجَاوَرَةِ لَهَا ، وَهِيَ فَارِسُ وَالرُّومُ « فَارِسٌ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ ، وَالرُّومُ فِي بِلَادِ الشَّامِ » .

وَاسْتَشَارَ أَبُو بَكْرٍ أَصْحَابَهُ فِي فَتْحِ هَذِهِ الْمَمَالِكِ فَوَافَقُوا.

وَأَعَدَّ أَبُو بَكْرٍ جَيْشاً كَبِيراً ، وَأَسْنَدَ قِيادَتَهُ إِلى الْبَطَلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ !

وَسَارَ خَالِدٌ بِجَيْشِهِ حَتَّى وَصَلَ الْعِرَاقَ ، فَعَلِمَ أَنَّ «هُرْمُز» قَائِدَ جَيْشِ الْفُرْسِ يَسْتَعِدُّ لِلْحَرْبِ ، فَكَتَبَ خَالِدٌ إِلَيْه :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ :

مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، إِلى هُرْمُز قَائِدِ جُيُوش الْفُرْس .. أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَقَوْمَكَ إِلى الْإِسْلَامِ .. فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَدْفَعُوا الْجِزْيَةَ وَتَعِيشُوا فِي حِمَايَةِ الْإِسْلَامِ .. فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَالْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .. وَاعْلَمْ أَنِّي أَتَيْتُكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّوا الْمَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ الْحَيَاة ! !

وَاغْتَاظَ هُرْمُز مِنْ رِسَالَةِ خَالِدٍ ، فَأَعَدَّ جَيْشاً قِوَامُ

خَمْسُونَ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَصَمَّمَ عَلَى قِتَالِ العَرَبِ وَطَرْدِهِمْ مِنْ بِلادِهِ ! !

* * *

وَاجْتَمَعَ هُرْمَز بِقَادَةِ جُيُوشِهِ ، فَحَذَّرُوهُ مِنْ خَالِدٍ ! !

قَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :

إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قَائِدٌ مَاهِرٌ عَلِيمٌ بِأَسَالِيبِ الْحَرْبِ وَحِيَلِهَا ، وإِنَّهُ لَمْ يُهْزَمْ أَبداً مَرَّةً وَاحِدَة في حُرُوبِهِ الَّتِي خَاضَهَا !

وَلَكِنَّ (هُرْمَز) مَلِكَ الفُرْسِ وَقَائِدَ الجَيْشِ سَخِرَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَقَالَ :

سَوْفَ أَسْحَقُ جَيْشَ العَرَبِ ، وَسَوْفَ أَقْتُلَ خَالِداً بِسَيْفِي هَذَا .. وَطَوَّحَ بِسَيْفِهِ فِي الهَوَاءِ ! !

وَقَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الجَيْشَانِ قَالَ (هُرْمُز) لِجَمَاعَة مِنْ جُنُودِهِ :

سَأَطْلُبُ مُبَارَزَةَ خَالِدٍ وَجْهاً لِوَجْهٍ ، وَعَلَيكُمْ أَنْتُمْ أَنْ تَخْتَبِئُوا وَرَائِي .. فَإِذَا بَدأَتِ المُبَارَزَةُ ، فَاهْجُمُوا عَلَى خَالِد فَجْأَةً وَاقْتُلُوه ! !

وَبدَأَتِ الْمُبَارَزَةُ بَيْنَ خَالِدٍ وَهُرْمَز .. وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَدْءِ الْمُبَارَزَةِ ، طَعَنَ خَالِدْ (هُرْمَز) طَعْنَةً مِنْ سَيْفِهِ أَلْقَتْهُ صَرِيعاً عَلَى الأَرْضِ ! !

وَبَدَأَ الاِضْطِرَابُ فِي جَيْشِ الْفُرْسِ ، وَرَاحَ يَتَقَهْقَرُ ، وَخَالِدٌ يُلَاحِقُهُ بِجُنُودِهِ حَتَّى فَتَحَ مُعْظَمَ بِلَادِ فَارِسَ وَوَصَلَ إِلى مَدِينَةِ الأَنْبَار .. ! !

* * *

وَكَانَ الْفُرْسُ قَدْ حَفَرُوا خَنْدَقاً حَوْلَ مَدِينَةِ الأَنْبَار ! !

فَفَكَّرَ خَالِدٌ بِذَكَائِهِ النَّادِرِ فِي طَرِيقَةٍ يَسْتَطِيعُ بِهَا عُبُورَ الْخَنْدَقِ ! !

لَقَدْ أَمَرَ جُنُودَهُ أَنْ يَذْبَحُوا جَمِيعَ الإِبِلِ الْهَزِيلَةِ ، وَيَرْمُوا بِهَا فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ لِتَصْنَعَ لَهُمْ جِسْراً لِلْعُبُورِ ! !

وَفَعَلَ الْجُنْدُ مَا أَمَرَ بِهِ خَالِدٌ ، وَعَبَرُوا الْخَنْدَقَ بِخُيُولِهِمْ ، وَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ ثُمَّ اقْتَحَمُوهَا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْحِصَارِ ! !

وَكَانَ عَدَدُ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي حَرْبِ

الفُرْس خَمْسَ عَشْرَةَ مَعْرَكَةً ، لَمْ يُهْزَمْ في وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَبداً . . ! !

وَوَصَلَتْ أَنْبَاءُ النَّصْرِ إلى أَبِي بَكْرٍ في المَدِينَةِ . . وَهَلَّلَ المُسْلِمُونَ وَكَبَّرُوا لِفَتْح مُعْظَم بِلَادِ فَارِسَ عَلَى يَدِ البَطَلِ خَالِدِ بْنِ الْوَليدِ ! !

وَابْتَهجَ الصِّدِّيقُ أَبُو بَكْرٍ لِهَذَا النَّصْرِ المُؤَزَّر ، فَجَمَعَ المُسْلِمُونَ في المَسْجِدِ ، وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الشُّكْرِ للهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّهَا المُسْلِمُونَ :

وَثَبَ أَسَدُكُمْ (خَالدٌ) عَلَى الْأَسَدِ (فَارِسَ) فَصَرَعَهُ ! !

لَقَدْ عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خَالِدٍ ! !

٧

خَالِدٌ في حَرْبِ الرُّوم ! !

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ بَعَثَ بِأَرْبَعَةِ جُيُوشٍ لِفَتْح بِلَادِ الرُّوم « الشَّام » وَجَعَلَ لِكُلِّ جَيْشٍ قَائِداً ، وَأَسْنَدَ القِيَادَةَ العَامَّةَ إلى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاح ! !

وَوَصَلَتْ الجُيُوشُ الْأَرْبَعَةُ إلى بِلَادِ الرُّوم ، وَبَدَأَتِ

الْمَعَارِكُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جُيُوشِ الرُّومِ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَهْرِ الْيَرْمُوكِ ! !

وَشَعَرَ الرُّومُ بِخُطُورَةِ الْمَوْقِفِ ، فَأَعَدُّوا جُيُوشاً جَدِيدَةً تَبْلُغُ مَائَةَ أَلْفٍ مُزَوَّدَةً بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَسْلِحَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا الْعَرَبُ ! !

وَكَانَتْ جُيُوشُ الْعَرَبِ أَقَلَّ بِكَثِيرٍ مِنْ جُيُوشِ الرُّومِ ، وَكَانَ مَوْقِفُهَا عَلَى نَهْرِ الْيَرْمُوكِ يُهَدِّدُهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَخْطَارِ ! !

لِهَذَا كَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ قَائِدُ الْجُيُوشِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَدِينَةِ يَصِفُ لَهُ الْمَوْقِفَ ، وَمَا يُحِيطُ بِالْجُيُوشِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَخْطَارٍ بِسَبَبِ قُوَّةِ الْجُيُوشِ الرُّومِيَّةِ ، وَمَدَى اسْتِعْدَادِهَا ، وَيَطْلُبُ الْمَعُونَةَ مِنْ جُنْدٍ وَسِلَاحٍ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ إِنْقَاذاً لِجُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ .. ! !

* * *

تَفَزَّعَ الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ كِتَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَسَرْعَانَ مَا اسْتَنْجَدَ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي الْعِرَاقِ فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ :

مِنْ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إلى خَالِدِ بْنِ الْوَليدِ :

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابي هَذَا ، فَاتْرُكِ العِرَاقَ ، وَاذْهَبْ مَعَ نَفَرٍ مِنْ جُنْدِكَ إلى أَبي عُبَيْدَةَ بِالشَّامِ لإِنْقَاذِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا الْتَقَيْتَ بِأَبي عُبَيْدَةَ ، فَأَنْتَ أَمِيرُ الجَيْشِ ، وَالقَائِدُ الَّذِي يَتَوَلَّى الْقِيَادَةَ !

وَالسَّلامُ عَلَيْكَ !!

وَفي الْوَقْتِ نَفْسِهِ : كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إلى أَبي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ .. فَقَدْ وَلَّيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قِتَالَ الرُّومِ بِالشَّامِ ، فَلَا تُخَالِفْهُ ، وَاسْمَعْ لَهُ ، وَأَطِعْ أَمْرَهُ ، فَإِنِّي وَلَّيْتُهُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ خَيْراً مِنْكَ ، وَلَكِنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَرْبِ ، وَذَكَاءٌ في الْقِتَالِ لَيْسَتْ لَكَ ، أَرَادَ اللهُ بِنَا وَبِكَ سُبُلَ الْخَيْرِ .. وَالسَّلامُ عَلَيْكَ !!

* * *

وَتَأَثَّرَ خَالِدٌ مِنْ كِتَابِ أَبي بَكْرٍ ، وَعَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ

أَمِيراً لِلْجَيْشِ بَعْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ ! !

إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَعْرِفُ فَضْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَيَرَى فِيهِ قَائِداً مُمْتَازاً .. وَرَجُلاً مُتَوَاضِعاً ، وَمُسْلِماً زَاهِداً صَالِحاً .. فَكَيْفَ يُوَاجِهُ الْمَوْقِفَ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ ؟!

لَقَدْ كَتَبَ خَالِدٌ إِلى أَبِي عُبَيْدَةَ كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ :

أَتَانِي كِتَابُ الْخَلِيفَةِ يَأْمُرُنِي فِيهِ بِالتَّوَجُّهِ إِلى بِلَادِ الشَّام ، وَتَوَلِّي قِيَادَةَ الْجُيُوش ! !

وَإِنِّي وَاللهِ لَمْ أُرِدْ هَذَا ، وَمَا طَلَبْتُهُ ، فَأَنْتَ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ مِنْ أَوَائِلِ الْمُسْلِمِينَ الأَبْرَار ، وَمِنْ أَحْبَابِ رَسُولُ اللهِ ، وَسَوْفَ أُقَاتِلُ تَحْتَ إِمْرَتِكَ ، لَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ، وَلَا أُخَالِفُ لَكَ رَأْياً .. وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ ! !

وَلَمَّا قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ كِتَابَ خَالِدٍ تَأَثَّرَ تَأَثُّراً كَبِيراً بِحُسْنِ فَضَائِلِه ، وَجَمِيلِ أَخْلَاقِهِ ، وَرِقَّةِ أَدَبِهِ ، وَقَالَ :

لَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْوَلِيدِ عَبْقَرِيا فِي الْحَرْب ، عَبْقَرِيا كَذَلِكَ فِي الأَخْلَاقِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ ! !

٨

خَالِدٌ في حَرْبِ الرُّوم :

تَأَهَّبَ خَالِدٌ لِلسَّفَرِ إلى الشَّامِ مَعَ جُزْءٍ مِنْ جَيْشِهِ ، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ الجَيْشِ في بِلَادِ فَارِسَ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ ، وَفي خِلافَةِ عُمَر أَرْسَلَ جَيْشاً إلى الْعِرَاقِ تَحْتَ إِمْرَةِ سَعْدِ بْنِ أَبي وَقَّاصٍ ، الَّذي فَتَحَ آخِرَ حِصْنٍ مِنْ حُصُونِ فَارِسَ ، وَهُوَ « القَادِسِيَّةُ »[1] . وَقَبْلَ أَنْ يَتَحَرَّكَ خَالِدٌ بِجَيْشِهِ إلى الشَّامِ ، طَلَبَ مِنَ العَرَبِ خُبَرَاءِ الطُّرُقِ أَنْ يَدِلُّوهُ عَلَى أَقْرَبِ طَرِيقٍ .. فَقَالُوا لَهُ :

هُنَاكَ طَرِيقٌ وَاحِدٌ هُوَ أَقْصَر الطُّرُقِ .. وَلَكِن لَيْسَ في الطَّرِيقِ مَاءٌ ! !

وَخَاطَرَ خَالدٌ بِنَفْسِهِ وَبِجُنُودِهِ ، وَسَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ الْوَعْرِ ، فَوَصَلَ إلى الشَّامِ في خَمْسَةِ أَيَّام ! ! وَكَانَتِ المَسَافَةُ

(١) إقرأ قصة سعد في سلسلة أعلام المسلمين .

مِنَ العِرَاق إلى الشَّام مَسِيرَةَ عِشْرِينَ يَوْماً !!

وَقَابَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِفَرَحٍ وَابْتِهاجٍ ..

وَهَلَّلَ الجُنُودُ وَكَبَّرُوا وَهَتَفُوا :

جَاءَ سَيْفُ اللهِ .. أَبْشِرُوا بالنَّصْرِ أَيُّهَا المُسْلِمُون !!

وَقَامَ خَالِدُ خَطِيباً في الجُنُودِ لِيَقُولَ لَهُمْ :

إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِ اللهِ ، لَا يَنْبَغِي فِيهِ الفَخْرُ أَوِ الظُّلْمُ !

أَخْلِصُوا لِجِهَادِكُمْ ، وَابْتَغُوا وَجْهَ اللهِ في حُرُوبِكُمْ !!

وَلَا تَظُنُّوا أَنَّني سَأَنْفَرِدُ بِإِمَارَةِ الجَيْشِ وَحْدِي .. كَلَّا وَإِنَّمَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَمِيرٌ لِلجَيْشِ ، وَسَوْفَ نَقْتَسِمُ الْإِمَارَةَ ، وَاللهُ مَعَنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ .. !!

وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَعْتَدُوا عَلَى الفَلَّاحِينَ في حُقُوقِهِمْ ، أَوْ تَبْطِشُوا بِامْرَأَةٍ ، أَوْ طِفْلٍ أَوْ حَيَوانٍ !!

* * *

وَبَدَأَ خَالِدُ في تَقْسِيمِ الجَيْشِ إِلى فِرَقٍ ، وَجَعَلَ كُلَّ فِرْقَةٍ تَحْتَ إِمْرَةِ قَائِدٍ مِنْ قُوَّادِهِ !!

وَلمَّا عَلِمَ الرُّومُ بِقُدُومِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، انْخَلَعَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الفَزَعُ وَالرُّعْبُ ، وَأَرَادُوا أَنْ يَحْسُمُوا الأَمْرَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِدُونِ قِتَالٍ ..

وَأَرْسَلَ « مَاهَانُ » قَائِدُ الرُّومِ إِلى خَالِدٍ يَطْلُبُ مِنْهُ مُقَابَلَتَهُ ..

وَتَقَابَلَ القَائِدَانِ في سَاحَةِ القِتَالِ ، كُلٌّ يَمْتَطِي جَوَادَهُ.. فَقَالَ مَاهَانُ لِخَالِدٍ :

أَيُّهَا القَائِدُ العَرَبِيُّ :

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ بِلَادِكُمْ لِلْحَرْب ، بِسَبَبِ الحِرْمَانِ وَالْجُوعِ !!

فَإِنْ شِئْتَ أَعْطَيْنَاكُمْ مَالاً وَطَعَاماً وَكُسْوَة ، وَتَرْجِعُونَ إِلى بِلَادِكُمْ ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَدْفَعَ لَكُمْ هَذِهِ العَطَايَا كُلَّ عَامٍ !!

وَاغْتَاظَ خَالِدُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، وَثَارَتْ كِبْرِيَاؤُهُ .. فَنَظَرَ باحْتِقَارٍ إِلى « مَاهَان » وَقَالَ لَهُ :

أَيُّهَا الْقَائِدُ الرُّومانيُّ :

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دِمَاءَ الرّومِ لها طَعْمٌ لَذِيذٌ ، فَجِئْنَا إِلَيْكُمْ نَحْنُ العَرَبَ لِنَشْرَبَ مِنْ دِمَائِكُمْ ! !

ثُمَّ تركَهُ خَالِدٌ وَانْطَلَقَ بِجَوَادِهِ ! !

* * *

وَبَدَأَتِ المَعْرَكَةُ عَلَى نَهرِ اليَرْمُوكِ ، وَقَاتَلَ المُسْلِمُونَ قِتَالاً عَنِيفاً حَتَّى اسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ كَثِيرون ، وَكُلَّمَا صَاحَ خَالِدٌ في جُنُودِهِ « وامُحَمَّداه ! ! » انْدَفَعَ الجُنُودُ في سَاحَةِ القِتَالِ كَالْأُسُودِ ، يَحْصُدُونَ الْأَعْدَاءَ بِسُيُوفِهِمْ وَرِمَاحِهِمْ ، وَهُمْ يُهَلِّلُونَ وَيُكَبِّرُونَ ، وَالعَدُوُّ يَتَقَهْقَرُ أَمَامَهُمْ في هَرَجٍ وَاضْطِرَابٍ.

وَكَانَتْ جُيُوش الرُّومِ أَكْثَرَ عَدَداً وَأَوْفَى سِلَاحاً مِنْ جُيُوشِ المُسْلِمِينَ ، وَفَطِنَ خَالِدٌ لِهَذِهِ الحَقِيقَةِ .. وَخَافَ أَنْ يَفِرَّ مِنْ جُنُودِ المُسْلِمِينَ ضِعَافُ العَقِيدَةِ وَالْإِيمَان ، فَاسْتَدْعَى عَدَداً وَفِيراً مِنَ النِّسَاءِ المُسْلِمَاتِ ، وَسَلَّحَهُنَّ بِالسُّيُوفِ والرِّمَاح .. وَاخْتَارَ لَهُنَّ مَوَاقِعَ خَلْفَ خُطُوطِ المُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لَهُنَّ :

إِذَا رَأَيْتُنَّ جُنْدِيا فَاراً أَوْ مُتَخَلِّفاً فَاقْتُلْنَهُ ! !

وَبِهَذَا كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَوَّلَ قَائِدٍ عَرَبِيٍّ يُنْشِىءُ جَيْشاً مِنَ النِّسَاءِ !!

٩

وَبَيْنَمَا كَانَ القِتَالُ دَائِراً عَلَى أَشُدِّهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّوم ، تُوفِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ .. وَتَوَلَّى الخِلَافَةَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب !!

وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَأْيٌ في خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يُخَالِفُ رَأْيَ أَبِي بَكْرٍ .. !!

فَكَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاح كِتَاباً يَقُولُ فِيهِ :

يَا أَبَا عُبَيْدَةَ [١] .. قَدْ جَعَلْتُكَ أَمِيراً عَلَى جُيُوشِ الْمُسْلِمِين في الحَرْب ، وَقَدْ عَزَلْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَنْ قِيَادَةِ الجُيُوشِ !!

تَفَزَّعَ أَبُو عُبَيْدَةَ حِينَ قَرَأَ الْكِتَابَ ، وَتَحَيَّرَ في الْأَمْر !!

إِنَّهُ إِذَا أَخْبَرَ خَالِداً بِكِتَابِ عُمَر ، وَتَنَحَّى خَالِدٌ عَنِ

---

(١) إقرأ قصة أبي عبيدة في سلسلة أعلام المسلمين .

الْقِيَادَةِ ، خَسِرَ الْمُسْلِمُونَ الْمَعْرَكَةَ ! !

وإِذَا أَخْفَى أَمْرَ الْكِتَابِ وَلَمْ يَنَفِّذْهُ ، أَغْضَبَ الخَلِيفَةَ عَلَيْهِ ! !

وَلَكِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ كَانَ قَائِداً حَصِيناً مُخْلِصاً فِي جِهَادِ اللهِ .. فَكَتَمَ الْأَمْرَ .. وَلَمْ يُخْبِرْ بِهِ أَحَداً .. وَظَلَّ خَالِدُ أَمِيراً لِلْجَيْشِ ! !

وَاسْتَمَرَّ خَالِدُ يَقُودُ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى هَزَمَ الرُّومَ .. وَفَرَّ الْقَيْصَرُ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ! !

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي مَعْرَكَةِ الْيَرْمُوكِ .. أَنَّ قَائِداً رُومَانِيا اسْمُهُ « جِرْجَةُ » اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى خَالِدٍ فِي مَيْدَانِ الحَرْبِ وَأَسْلَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ ! !

* * *

وَلَمَّا أَرَادَ خَالِدُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ بِجُنُودِهِ ، وَجَدَهَا مَحُوطَةً بِأَسْوَارٍ عَالِيَةٍ مُحَصَّنَةٍ .. فَصَنَعَ لِلْجُنْدِ سَلَالِمَ مِنَ الْحِبَالِ الغَلِيظَةِ ، تَسَلَّقُوهَا إِلَى أَعْلَى الْأَسْوَارِ ثُمَّ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ

فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا حُرَّاساً وَلَا جُنْداً ! !

وَفِي أَحَدِ مَيَادِينِ دِمَشْق ، الْتَقَى خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاح .. فَتَعَانَقَا .. وَهَنَّأَ كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَر بِهَذَا النَّصْرِ الْعَظِيم ! !

وَنَظَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى خَالد نَظْرَةَ إِكْبَارٍ وَعَطْف وَقَالَ لَهُ :

عِنْدِي لَكَ حَدِيثٌ يَا خَالِدُ ! !

قَالَ خَالِدٌ : هَاتِهِ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ .. ! !

وَسَارَ الاِثْنَانِ حَتَّى دَخَلَا خَيْمَةَ خَالِدٍ ، وَهُنَاكَ أَطْلَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ خَالِداً عَلَى كِتَابِ عُمَر بْنِ الخَطَّاب ! !

وَنَظَرَ خَالِدٌ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَقَالَ لَهُ :

وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي يَا أَخِي ؟! وَلِمَ كَتَمْتَ الأَمْرَ حَتَّى الآنَ ؟! قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ :

وَكَيْفَ أُخْبِرُكَ يَا سَيْفَ اللهِ ، وَأُنَحِّيكَ مِنْ قِيَادَةِ الجُيُوش فِي المَعْرَكَةِ ؟ وَمَنْ مِثْلُكَ يَا خَالِدُ بَيْنَ قُوَّادِ العَرَبِ جَمِيعاً ؟ وَكَيْفَ كَانَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَفُوزَ بِهَذَا النَّصْرِ الْعَظِيم إِذَا كُنْتَ

أَنْتَ بَعِيداً عَنْ قِيَادَةِ المَعْرَكَةِ ؟!

يَا خَالِدُ : إِنَّنَا جَمِيعاً جُنُودُ اللهِ .. لَيْسَ فِينَا أَمِيرٌ أَوْ صَغِيرٌ .. إِنَّنَا جَمِيعاً نَسْعَى إِلى هَدَفٍ وَاحِدٍ هُوَ أَسْمَى الغَايَاتِ وَأَشْرَفُهَا .. أَلَا وَهُوَ نَشْرُ الْإِسْلَامِ وَتَوْطِيدِ دَعَائِمِهِ في المَمَالِكِ المَفْتُوحَة !!

وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الخَلِيفَةَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ كَانَ حَاضِراً مَعَنَا ، وَهُوَ يَأْمُرُ بِعَزْلِكَ عَنِ القِيَادَةِ ، لَعَارَضْتُهُ في الْأَمْرِ !!

وَشَكَرَ خَالِدُ لأَبِي عُبَيْدَةَ جَمِيلَ صُنْعِهِ ، وَرِقَّةَ أَدَبِهِ ، وَكَرَمَ طِبَاعِهِ ، وَرِقَّة أَخْلَاقه .. ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ !!

وَقَصَدَ خَالِدُ مَدِينَةَ حِمْصَ بالشَّام ، فَبَنَى لَهُ فِيهَا داراً أَقَامَ فِيهَا ، حَيْثُ كَانَ يَسْتَقْبِلُ زُوَّارَهُ مِنَ القُوَّادِ وَالفِرْسَان ، وَالْأُمَرَاءِ وَأَعْلَامِ المُسْلِمِين ، تَحِيَّةً لَهُ ، وَتَمْجِيداً لِمَآثِرِهِ الخَالِدَةِ!

١٠

لَمَّا عَزَلَ عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، تَعَجَّبَ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ في بِلَادِ العَرَبِ وَالْبِلَادِ المَفْتُوحَةِ ، وَأَصَابَهُمْ

الذُّهُولُ وَالْأَسَى !

لَقَدْ كَانُوا يُرَدِّدُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ :

كَيْفَ يَعْزِلُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَعْظَمَ قَائِدٍ عَرَبِيٍّ حَارَبَ الْمُرْتَدِّين مَعَ رَسُولِ اللهِ فَأَخْضَعَهُمْ .. وَفَتَحَ بِلَادَ فَارِسَ ، وَبِلَادَ الرُّوم ، وَأَخْضَعَهَا جَمِيعَها لِحُكْم العَرَب ، فَأَصْبَحُوا لَهَا أَسْيَاداً بَعْدَ أَنْ كَانُوا خَامِلِين ؟!

وَذَهَبَ إِلى عُمَر كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأَئِمَّةِ وَكِبَارِ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ عَنِ السَّبَبِ فِي عَزْلِ خَالِدٍ !! وَهُوَ فَخْرُ الْمُسْلِمِينَ وَمَجْدُهُمْ .. بَلْ إِنَّهُ مُعْجِزَةُ الْإِسْلَام ؟!

وَشَعَرَ الخَلِيفَةُ عُمَرُ بِغَضَبِ الْمُسْلِمِينَ في كل مَكان ، وَاسْتِيائِهِمْ مِنْ عَزْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلى الْوُلاةِ وَالْحُكَّام في البِلادِ الْمَفْتُوحةِ كُتُباً يَقُولُ فِيهَا :

إِنِّي لَمْ أَعْزِلْ خَالداً عَنْ تَقْصِيرٍ أَتَاهُ ، أَوْ خِيَانَة ارْتَكَبَهَا ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فَخَّمُوهُ وَعَظَّمُوهُ ، فَخِفْتُ أَنْ يُقَدِّسُوهُ ، أَوْ يَعْلَمُوا أَنَّ النَّصْرَ كَانَ بِسَبَبِ بَرَاعَتِهِ وشَجَاعَتِهِ . إِنَّمَا النَّصْرُ

مِنْ عِنْدِ اللهِ ! !

* * *

وَذَهَبَ خَالِدُ بَعْدَ عَزْلِهِ إلى المَدِينَةِ ، فَقَابَلَ عُمَرَ بْنُ الخَطَّابِ وَقَالَ لَهُ :

لَقَدْ شَكَوْتُكَ إِلى المُسْلِمِينَ ! ! وَوَاللهِ إِنَّكَ في أَمْرِي غَيْرُ مُنْصِفٍ يَا عُمَرُ .. ! !

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ :

وَاللهِ إِنَّكَ لَحَبِيبٌ إِلى نَفْسي يَا خَالِدُ ، وَإِنَّكَ لَشُجَاعٌ كَرِيمٌ !

لَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَائِداً حَرْبِياً مُنْذُ صِبَاهُ ، يَهْوَى الحَرْبَ ، وَيَعْشَقُ السَّيْفَ ، وَيَفْتَتِنُ بِضَجِيجِ المَعَارِكِ ، وَصَهِيلِ الخُيُولِ ، وَوَمِيضِ السُّيُوف ! !

كَانَ يَقُولُ لِزَائِرِيهِ مِنْ كِبَارِ الْقَوْم :

مَا لَيْلَةٌ يُهْدَى إِليَّ فِيهَا عَرُوسٌ ، أَوْ أُبَشَّرُ فِيهَا بِوَلِيدٍ ، بِأَحَبَّ إِليَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الظَّلَام ، أَسِيرُ فِيهَا بِجُنُودِي ،

حَتَّى إِذَا بَدَتْ خُيُوطُ الفَجْرِ ، هَجَمْتُ بِسَيْفِي عَلَى الْمُشْرِكِينَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ ! !

وَزَارَهُ يَوْماً جَمْعٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ مَرِيضٌ .. فَلَمَّا شَاهَدَهُمْ بَكَى وَقَالَ :

لَقَدْ شَهِدْتُ مِئَاتِ الْمَعَارِكِ ، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ ، أَوْ طَعْنَةُ رُمْحٍ ، أَوْ رَمْيَةُ سَهْمٍ ! ! ثُمَّ هَا أَنَذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي رَغْمَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ ... فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ .. ! !

حَيَّاكَ اللهُ يَا سَيْفَ اللهِ .. ! ! أَبَعْدَ أَنْ دَوَّخْتَ الدُّنْيَا زَحْفاً وَضَرْباً وَطَعْناً ، وَبَعْدَ أَنْ أَخْضَعْتَ أَقْوَى الْمَمَالِكِ وَأَعْتَاهَا ! ! تَقُولُ : إِنَّكَ تَمُوتُ مَوْتَ الْبَعِيرِ ؟! !

١١

هَذِهِ عَظَمَةٌ نَفْسِيَّةٌ مَا بَعْدَهَا عَظَمَةٌ ! !

وَكِبْرِيَاءٌ لَا يَعْلُوهَا كِبْرِيَاءٌ ! !

وَفِي لَيْلَةٍ حَالِكَةِ السَّوَادِ ، صَعِدَتْ رُوحُ الْبَطَلِ إِلَى

خَالِقِهَا الْعَظِيمِ ! !

وَلمَّا عَلِمَ عُمَرُ بِمَوْتِ خَالد .. بَكَى بُكَاءً مُراً وَقَالَ فِيهِ :

لَقَدْ فَقَدَ الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ رُكْناً وَطِيداً لَا يُعَوَّضُ ، لَقَدْ كَانَ خَالِدٌ سَدَّاداً لِنحُورِ الْأَعْدَاءِ .. فَرحَمه اللَّهُ .. عَاشَ بَطَلاً حَمِيداً .. وَمَاتَ بَطَلاً سَعِيداً .. ثُمَّ شَهِقَ بِالْبُكَاءِ حَتَّى ابْتَلَّتْ لِحْيَتَهُ ! !

وَرَأَى عَليُّ بْنِ أَبي طَالِبٍ عُمَرُ يَبْكي بُكَاءً مُراً فَقَالَ لَهُ :

وَلِمَ عَزَلْتَهُ إِذَنْ يَا عُمَرُ ؟

قَالَ عُمَرُ :

نَدِمْتُ عَلَى مَا فَعلْتُ .. وَرَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ .. لَقَدْ كَانَ أَعْرَفُ بِالرِّجَالِ مِنِّي ! !

وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ جُثْمَانَ أَعْظَمِ بَطَل في التَّارِيخِ العَرَبِيِّ فَصَاحَتْ أُمُّهُ تَنْدبُه :

أَنْتَ خَيْرٌ وَاللهِ مِنْ أَلْـفِ أَلْــفٍ

حِينَ يَحْمَى الصِّرَاعُ بَيْنَ الرِّجَالِ ! !

فَلَمَّا سَمِعَهَا عُمَرُ زَادَ نَحِيبُهُ وَبُكَاؤُهُ ، وَقَالَ :

صَدَقْتِ .. إِنَّهُ كَانَ كَذَلِكَ .. لَقَدْ عَجَزَتِ النِّسَاء أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ خالد .. !!

وَدُفِنَ الْبَطَلُ في مَسْجِدِ سَيِّدِي خَالدٍ ، بِمَدِينَةِ «حِمْصٍ».. وَبَكَاهُ الْمُسْلِمُونَ في مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا !!

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَا فَخْرَ الْعُرُوبَةِ ، وَمَجْدَ الْإِسْلَام ، وَحَسْبُكَ أَنَّكَ أُنْشُودَةٌ خَالِدَةٌ ، يُرَدِّدُهَا التَّارِيخُ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ !!

* * *

مطابع الشروق

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN

دار الشروق

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN